الملابس والحُلي في عصر الدولة العباسية/ في شعر أبي نواس مثالاً

The Clothes in the Era of the Abbasid State/ The Clothes in the poems of Abu- Noua›as

الباحث الأول: أ.د. مها أسعد عبد الحميد

الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ

First researcher: Prof. Maha Asaad Abdel Hamid

Iraqi University/ College of Education for Girls/ History Department

الباحث الثاني: أ.د. أحمد شاكر غضيب

جامعة الإمام الصادق/ فرع ديالى

The second researcher: Prof. Dr: Ahmed Shaker Ghadeeb

Imam Al-Sadiq University / Diyala Branch

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

الملخص

إنَّ من أهم المؤشرات الحضارية التي تعكس حياة الشعوب ومعيشتها هي الملابس والحلي، وهي قديمة قدم الإنسان ، ونظرةٌ الى الآثار البابلية والسومرية والأكدية تؤكد حقيقة التطور الحضاري الذي عرفه الإنسان منذ ذلك التاريخ الموغل في القدم .

ويسعى بحثنا هذا الى كشف هذه الظاهرة في شعر أبي نواس وما ترك العصر العباسي الأول من بصمات في هذا المضمار في شعره، مستندين في ذلك الى الأخبار التاريخية التي تعكس اهتمام المجتمع في هذا المجال .

الكلمات المفتاحية: الجلباب ، القلانس، الازار، السوار ... وغيرها .

Abstract

The clothes and Accessories are represented as the most important historical indications for the populations' life style. They are so ancient as the human being and the focus on the Sumerian and Acadian ruins ensures the fatal fact of the civilizations' evaluation which had been known by the human being throughout the so-far ancient history.

This research aims to discover this phenomenal aspect in the poems of Abu-Noua'as his poetic touch during the first Abyssinian era depending on the historical news that reflect to the society's caring for this field.

Key words: Al-Jilbab (the Robe)، Al-Qalanis (the Caps)، Al-Azr، Al-Siwar (the Bracelet)…etc.

المقدمة

حفلت حضارة وادي الرافدين بالكثير من أنواع الملابس ومستلزماتها على مرِّ العصور ، وقد أعدّت لكل مناسبة زيها ولكل ظرف ملابسه وكل بهجةٍ زينتها بل حتى ألوانها ، ومدى تناغم ذلك مع هذه المناسبة وذلك الظرف في إطارها الاجتماعي والموضوعي ، وأعطى لكل مناسبة اسماً خاصاً لذلك الزي يتعرف من خلاله الناس عليها .

هدف البحث: لم تكن الملابس ومكملاتها غطاء للجسم والرأس فحسب بقدر ما كانت عملية حضارية مركبة تتحكم في اختيارها وتصميمها العديد من العوامل كالمناخ والعادات والتقاليد والمناسبة فضلا عن اعتبارات شخصية كلون البشرة والمزاج الذاتي للفرد وما الى ذلك .

مشكلة البحث: تسعى موضوعة البحث الى تبيان بأنَّ الزي ومكملاته تكوينٌ حيٌّ لا ينسلخُ عن التفكير... وهو وضعٌ عامٌ لتصوّرٍ فنيٍّ متمكنٍ من تحقيق وحدة متكاملة في معرفة الذوق والتحسس اللوني والحاجة البدائية والمعاصرة (غضيب، بداءة معجمية، ١٩٧٦م، ص٣) .

إطار البحث الزماني: الأزياء والحُلي في عصر الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٤٩-١٢٥٨م) ولاسيما النسائية منها لتعلق المرأة في هذا الأمر واهتمامها بمظهرها في جميع العصور .

إطار البحث المكاني: مجتمع الدولة العباسية ولا سيما الجهات الشرقية منه .

منهج الدراسة: المنهج التاريخي التحليلي الفني .

الدراسات السابقة: اطلعت الباحثة خلال هذه الدراسة على اهتمام المجتمعات بالأزياء ومكملاتها ومادة صنعها والتأليف فيها ومنها كتاب المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى للأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي ، وكتاب الملابس والحلي في العراق للأستاذ محمد حسن السعبري الحسني فضلا عن مجلات التراث الشعبي .

هيكلية البحث: سيقسّم البحث بإذنه تعالى على مبحثين اثنين، سيتناول المبحث الأول مناقشة بعض عوامل التأثير على الملابس العربية ومصادر دراسة المنسوجات والألبسة العربية في مطلبه الأول . أما المطلب الثاني منه والموسوم (الملابس والحُلي في العصر العباسي) فسيناقش الملابس مصنفة على وفق صفة الذي يلبسها في المجتمع العباسي وذلك لأنَّ هذا العصر شهد تغييراً كبيراً في تصميم الملابس والأزياء وأشكالها لاحتكاكه بالمجتمعات الجديدة ومنها المجتمعات الفارسية والرومية وغيرهما .

ولّما كان الشعر ديوان العرب ووثيقة تاريخية حية تعكس حياة الناس والمجتمعات لذا سيأخذ المبحث الثاني والموسوم (الألبسة في شعر أبي نواس) في انتقاء ومناقشة عددا من أبياته المتناثرة في ديوانه الكبير (ديوان أبي نواس) لتكون شواهد حية تعكس طبيعة الألبسة ، بصنفيها، الألبسة النسائية وألبسة الرجال في المطلب الأول ، وكذلك الحُلي ومكملاتها

في المطلب الثاني والتي كانت سائدة في العصر العباسي ومنتشرة بين مختلف طبقات المجتمع .

بعض المصادر والمراجع التي سيعتمدها البحث: سيعتمد البحث على الله تعالى أولاً ومن ثم على العديد من المصادر الأولية القديمة والمراجع الثانوية الحديثة، فمن المصادر الأولية كتب التاريخ العام والتي تعرفنا على مكان أحداث البحث وزمانه ومنها كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، وكتابي الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) وهما البيان والتبيين ورسائل الجاحظ.

أما الكتب التاريخية المهتمة بحياة المجتمع العباسي ولاسيما طبقة الخلفاء والأمراء والوزراء ونسائهم وقهرماناتهم وجواريهم وما الى ذلك فكانت كتب كثيرة ومنها كتاب (الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، وكتاب (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس) لابن دحية، مجد الدين عمر بن حسن بن علي (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)، وكتاب (نساء الخلفاء) لابن الساعي، تاج الدين علي بن المحب المعروف الخازن البغدادي (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م)، وغيرها .

وبما أن بحثنا يكشف عن الأزياء ومكملاتها في المجتمع العباسي في شعر أبي نواس مثالاً، فكان لابد من دراسة الأزياء ومنسوجاتها ومكملاتها وما الى ذلك في ديوانه (ديوان أبي نواس) لأبي نواس، الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمي المذحجي ت١٩٨هـ/ ٨١٣م .

كما سيعتمد البحث على مراجع حديثة مهتمة في هذا المجال لمجموعة طيبة من أساتيذنا الأفاضل في التاريخ الإسلامي، ومنها كتاب (سيدات البلاط العباسي) للأستاذ الدكتور مصطفى جواد، وكتاب (المنسوجات والألبسة في العهود الإسلامية الأولى) للأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، وكتاب (الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي) للأستاذ صلاح حسن العبيدي، وغيرها من الكتب والمآثر والتي تفصح عن اهتمام المجتمع العربي الإسلامي في موضوعة الأزياء والحلي ومكملاتها، وتذوقهم لها، وهي وجه جميل من وجوه المدنية، وصورة براقة من صور الحضارة العربية الإسلامية في المجتمع العباسي في عصره الأول .

المبحث الأول
الملابس في العصر العباسي

المطلب الأول: ١- عوامل التأثير على الملابس العربية

كان الإسلام حدثاً فاصلاً في تاريخ العرب مؤثراً في مختلف جوانب حياتهم ، وقد امتد أثره الى الملبوسات، فقد كوّن العرب بفضل الإسلام دولة واسعة مترامية الأطراف ومنها :

١- شملت كافة الأقاليم التي كانت تابعة للدولة الساسانية ومعظم الأقاليم التي كانت من قبل تابعة

للروم ، فأصبحت كافة هذه الأقاليم تجمعها دولة واحدة ، وقد حلَّ بين أقاليم هذه الدولة الشاسعة الأمن والسلم العام ، وانتشر المقاتِلة العرب بإعدادهم الكبيرة ، وكثرت حاجاتهم الى الملبوسات الشعبية البسيطة ، فكان لهم فيها ذوق خاص له السيادة في الدولة الجديدة (العلي ، المنسوجات والألبسة العربية، ٢٠٠٣م ، ص٦) .

٢- إنَّ الاهتمام بالملابس كانت نتيجة الاختلاط بالأمم الأخرى في عصر الدولة العباسية ومن قبله ، فكانت الفتوحات الإسلامية المباركة من العوامل التي أثّرت في العرب المسلمين وخلقت أوضاعاً جديدةً أثرت في ملابس العرب ، من حيث الشكل والمضمون؛ إذْ أنَّ العربَ أصبحوا على اتصال مباشر مع سكان ((أقاليم لهم ألبسة تختلف في ما يظهر عن ألبسة عرب الجزيرة ، أو على الأقل الأقاليم الغربية منها)) (العلي، المنسوجات، ص ٢٥١) ، كما أدت الفتوحات الإسلامية الى زيادة موارد جماهير العرب وخاصتهم ، والى رقي مستوى المعيشة وازدياد الاهتمام الى اقتناء الألبسة وخاصة في الأمصار الإسلامية وفي المراكز القريبة منها ، وقد تجلّى هذا في البذخ في كمية الملبوسات وأنواعها التي استعملها مختلف طبقات المجتمع .

٣- إنَّ زوال الحواجز التي كانت تعرقل التجارة من قبل ، أُباحت حرية التنقل والعمل والكسب، فكان ذلك عاملاً آخراً أدى الى ارتفاع مستوى المعيشة وازدهار النشاط التجاري الذي عمل على خروج العربي من حدوده الإقليمية الضيقة منطلقاً بعيداً الى دول وأقاليم لم يصلْها من قبل ، فظهر كثير من الأغنياء الذين عَنوا باختيار الألبسة المُترفة ، واقتبس بعضهم ما كان سائداً بين الأغنياء ، وكان أثر ذلك بارزاً في الأمصار الرئيسة الكبرى ، وهي الكوفة البصرة والفسطاط وغيرهم ، ثم انتقل تأثير ذلك الى المدينة والى الحواضر الكبرى ، إذْ أصبحت المراكز الرئيسة لاستهلاك السلع والمتاجرة بها (المرجع نفسه، ص٦، ٢٥١) .

٤- كما أن ازدهار النشاط الحرفي والصناعي الذي انتشر في أصقاع الدولة العباسية تطلب أزياء متخصصة لكل حرفة أو صنعة يتخصص بها الإنسان ويُعرف بها بين أفراد المجتمع فظهرت أزياء متخصصة لكل فئةٍ منهم ، وقد أشار الجاحظ ، أبو عثمان عمرو ابن بحر البصري (٢٥٥هـ/ ٨٦٩ م) الى ذلك وعرض الى كثيرٍ من هذه الأزياء في زمنه في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، فذكر: ((ولكل قومٍ زي وللقضاة زي ولأصحاب القضاة زي ، وللشرطة زي ، وللكتّاب زي ، ولكتّاب الجُنْد زي)) ولكل أصحاب مهنة وصنعة أزياؤهم على وفق طبقاتهم وفئاتهم ، واستمر في سرد أزياء الخلفاء وحاشيتهم واختلافها في كل جلسة ومناسبة (البيان والتبيين ١٩٤٨م ، ج٢، ص١١٤، ١١٧) .

٢- أما مصادر دراسة المنسوجات والألبسة :

يذكر أستاذنا الدكتور صالح العلي بأنه ((لم

تصلنا من القرون الهجرية الأولى مخلّفات من الألبسة ، كما أنَّ الصور التي عرضتها الكتب المعنية بالفنون قليلة جداً وغير شاملة أو دقيقة ، ويرجع أغلبها الى القرون المتأخرة ، وليست الى الحقبة التي تركزت عليها هذه الدراسات ، وهي لا تتجاوز القرن الرابع الهجري . ولم يكتب الحرفيون عن فنون صناعاتهم وموادها ، لذلك فإنَّ جلّ اعتمادنا في دراسة الألبسة ، على ما أورده أهل اللغة والحديث والفقه والأدب والتاريخ وجلّهم من العلماء وليسوا من الحرفيين ...)) (صالح العلي ، ص١٥) بين أسطرٍ متناثرةٍ في بطون أُمات الكتب .

المطلب الثاني: الملابس النسائية في العصر العباسي

ولابد من التمييز والتفرقة بين ملابس النساء في العصر العباسي على وفق صفتهن في المجتمع العباسي الى الآتي :

أولاً- لباس الحرائر: والحرائر: هنَّ النساء العربيات الخُلّص مثل (أم سَلمة بنت يعقوب بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومية زوج الخليفة أبو العباس السفاح (السمعاني، الأنساب، ١٩٩٨م، ج٢، ص١٥)، ، والسيدة زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور (ت٢١٦هـ/ ٨٣١م) (الخطيب البغدادي، ١٩٣١م، ج١٤، ص٣٢٣) ، زوج الخليفة هارون الرشيد ، و(علية بنت المهدي) وغيرهنَّ من نساء دار الخلافة العباسية ، فقد قلّدت النساء الحرائر في ألبستهنَّ أزياء الجواري اللاتي انتشرن أرجاء الدولة العباسية بشكل عام والبلاط العباسي بشكل خاص ، إذْ اتصفت ملابسهن بأكمامها المفتوحة (ابن دحية ، النبراس، ١٩٤٦م، ص١٨٩؛ الوشاء، الموشي، ١٩٥٣م، ص١٣٠) وسراويلهن البيض المذيّلة ، والسود المسبلة (ينظر: دوزي، المعجم المفصل، ١٩٧٢م؛ زكية العلي، التزويق، ١٩٧٣م، ص١٠٢) كما انتشرت في العصر العباسي انتشاراً واسعاً الملابس المذهّبة المائلة الى الخمري (ابن الجوزي، المنتظم، ١٣٥٧هـ، ج٤، ص١٢٦) .

وكان للسيدة زبيدة أثرٌ كبير في تطور الزي العباسي وإدخال تغييرات على ملابس السيدات في عصرها ، فيُعزى اليها اتخاذ المناطق (الحزام العريض المرصع بالجواهر) والنعال المرصع بالجواهر أيضاً ، وكانت فوق ذلك تُسرف في شراء ملابسها وتزيينها ، حتى إنها اتخذت ثوباً من الوشي الرفيع يزيد ثمنه على خمسين ألف دينار (المدور، حضارة الإسلام في دار السلام، ١٩٣٣م، ص٥٥) .

وأصابت الحرائر وغير الحرائر، على حد سواء ، تقليد كتابة الأشعار على الأزياء، فلم يتركن زيّاً إلّا ونقشن شيئاً من مستظرف الشعر . وأحدث التقليعات العجيبة التي نسبت اليهن تقليعة العصائب المرصعة بالجوهر ، والتي استحدثتها علية بنت الخليفة المهدي والتي تم ذكرها آنفاً ، فأصبحت النساء الحرائر والجواري يقلدن الأميرة (علية) في ابتكاراتها، وكنَّ يطرزنَ العصائب مكللة بالجوهر ، ويكتبن عليها شعراً رقيقاً يصفن فيه محاسنهنَّ (المقريزي، السلوك،

١٩٣٤م، ج٢، ص٢٨٥) .

ثانياً- لباس الجواري: الجارية: هي الفتاة التي تُباع وتُشترى في سوق النخّاسين (اليسوعي، المنجد، ٢٠٠١م، ص٣٥٩) وقد جيء بهنَّ من البلاد البعيدة الى البلاط العباسي (ابن كثير، البداية، ١٩٣٢م، ج٩، ص٦٢؛ مصطفى جواد، سيدات، ١٩٥٠م، ص٧) مثل بلاد الترك (ابن الأثير، الكامل، ١٩٣٤م ، ص٤٩) والحبشة (المستطرف، ص٣١) ، وبلاد الروم (ابن كثير، ج٩، ص٧٥؛ ابن العماد، شذرات، ١٩١٧م ، ج٢، ص١٣٥) وغير ذلك ، وقد أصابت الجواري في العصر العباسي حمّى كتابة الأشعار الرقيقة وتطريزها بالصفائح المذهبة يصفن فيه محاسنهن (المقريزي، ج٢، ص٢٨٥ ؛ المدور، حضارة الإسلام، ص٩٠) ، وتفننَّ أيضاً بكتابة الشعر بالفضة والذهب على طرفي الأردية والأكمام والعصائب ، ويطرزن الدوائب، بل إنَّ الجواري لم يتورعن عن كتابة الشعر المائع (الجاحظ، رسائل، باب التفاخر بالجواري والغلمان، ١٩٦٢م، ص١٧٥؛ العبيدي، الملابس، ١٩٨٠، ص٢٣٨) .

واستمر التطور في كتابات الأشعار للجواري على خفافهن ، وكنَّ يبدين شغفاً بالأخفاف التي تصر عند المشي لاجتذاب الأنظار (الأصفهاني، الأغاني، ١٩٣٢هـ ، ج١٠، ص٢٩٧) ، وكنَّ يقلدن في ذلك (السيدة الخيزران، زوج الخليفة المهدي) والسيدة زبيدة والجواري الروميات في هذا الابتكار (الذهبي، العبر، ١٩٦٠، ج٢، ص١٣١؛ آبوت، ملكتان في بغداد، ١٩٦٩م، ص٦٨) ، ويُذكر أنَّ خفاف السيدة الخيزران كان يُصنع حشوها من حبات العنبر والمسك ، وتُكلَّل واجهتها بالجواهر والذهب (ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص٨٧؛ الأبشيهي، المستطرف، ص١٧٦) .

ثالثاً- لباس القهرمانات: القهرمانة هي لون من ألوان الجواري في المجتمع العباسي (الطبري، تاريخ، ١٩٦٢م، ج٤، ص٦٧؛ الدوري، العصر العباسي الأول، د.ت. ص٧٤) مع أنها أرفع منزلة وشأناً من شريحة الجواري التي تنتمي اليها، لأن هذه التسمية كانت استُعملت للإشارة الى الوظيفة التي تخص الأمور المالية من الدخل والخرج في البلاط العباسي (الأصفهاني، ج١٢، ص٧٩؛ الأبشيهي، ص٨٨) ونجد تعدد وظائف القهرمانة عند بعض الخلفاء ، فضلاً عن وظيفتها الأصلية، مثل مبايعة الخليفة كما فعلت القهرمانة (عَلَم) للخليفة المستكفي بالله ٣٣٣-٣٣٤هـ/ ٩٤٤-٩٤٥م (تاريخ الطبري،ج٤، ص٦٩؛ السيوطي، تاريخ ، ١٩٥٩م، ص٢٤٥) ، ومنهن مَنْ جلس للمظالم مثل القهرمانة (ثمل) خلال خلافة المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م (الصابي، الوزراء، ١٩٥٨م، ص٧١؛ ابن الساعي، نساء الخلفاء، د.ت. ، ص٦٢) وما الى ذلك .

كانت القهرمانة في العصر العباسي تلبس الزنّار، وتكتب عليه الأشعار، وتكتب على المناديل والتك أيضاً ، وكان عقد الزنار(ابن الأثير، ج٥، ص١٧٩؛ العبيدي، ص٢١٥) يُشَدُّ من طرق أزرارهن بخيط

من الحرير، ثم يجعلنه في رؤوسهنَّ مثل العصائب، فيثبت الإزار، ولا يتحرك عن طريق شكالات الشعر (دوزي، المعجم المفصل، ١٩٧٢م، ص٢٤٧) وتضع في طرف الإزار زناراً وخيط الإبريسم، ثم تجعلها على رأسها (ابن تغري بردي، ج٢، ص٧٦) من دون تقييد في الألوان (الأصفهاني، ج٩، ص١٢٠؛ الأبشيهي، ص٢١٠) فبموجب هذا الملبس للقهرمانة يمكن تفريقها عن الجارية ، ليعرفها المجتمع إذا خرجت للتسوق ويميّزها إذا تواجدت بين الناس.

ومن المفيد ذكره أنَّ ملابس القهرمانات والجواري استمرت على هذه الأشكال والأنواع حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) .

وبصورةٍ عامةٍ كانت ملابس الجواري والقهرمانات تعكس لنا عمق الترف الذي اتصفت به الدولة العباسية إبّان عنفوان ازدهارها في قصور الخلافة وبيوتات الأمراء العباسيين ، والذي كان السبب في تطور بعض أنواع الملابس وفن النقش والتطريز على الملابس والأبدان على حدٍّ سواء .

المبحث الثاني: الألبسة والحُلي في شعر أبي نواس

المطلب الأول: الملابس

اقترن اسم أبي نواس، أبو علي الحسن بن هانئ الحكمي البصري (ت١٩٨هـ/ ٨١٣م) مع اسم الدولة العباسية بل مع اسم بغداد في عصر عزها وازدهارها ورفاهها ، وظل اسمه متعاوناً مع أقاصيص ألف ليلة وليلة يتعاونان على إبقاء بغداد صورة براقة مشرقة مزدانة بالخير والسحر والجمال...

فقد تضمن ديوان الشاعر العباسي ابي نواس بتصوير الملابس والحُلي التي تخص المرأة والرجل على حدٍّ سواء في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، عصر الذوق والجمال والرقي والازدهار الفكري والحضاري في جميع أوجهه ومفاصله، عصر الاطلاع على ثقافات عديدة والاندماج بحضارات متنوعة فارسية وبيزنطية ورومانية وحتى هندية وصينية ، وقد أدّى ذلك كله الى تهذيب ذوق العرب المسلمين وصقل رؤاهم فيما يتعلق بمظهرهم الخارجي، ولهذا يمكن اتخاذ العديد من النماذج الشعرية لأبي نواس شواهداً على التقدم الحضاري الذي عاشه ذلك العصر ، والحقيقة إنَّ ذلك لم يقتصرْ على هذا الشاعر فقط وإنما عند شعراء وأدباء كثيرين ، فحين نتصفح كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ، على سبيل المثال، تتضح لنا هذه الحقيقة .

لقد عُرف الاهتمام بالملابس عند زوجات الخلفاء العباسيين ، فالسيدة زبيدة زوج الخليفة هارون الرشيد ((أول مَنْ اتخذ الآلة من الذهب والفضة المكللة بالجواهر، وصُنع لها الرفيع من الوشي حتى بلغ الثوب من الوشي الذي اتُخذ لها خمسين ألف دينار)) (المسعودي، ج٤، ص٢٢٦) .

أما أغطية الرأس فكانت أهمها القلنسوة فقد ((أخذ المنصور الناس بلبس القلانس المفرطة الطول ، وكانوا فيما ذُكر يحتالون لها بالقصب من الداخل)) (تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٧٦) .

ويروي أبو الفرج الأصفهاني: ((أمر أصحابه

بلبس السواد وقلانس طوال تُدعم بعيدان من داخلها)) (الأغاني، ج١٠، ص٢٦٣).

وقيل أنَّ الخليفة محمد الأمين (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٩-٨١٤ م) حين بويع بالخلافة ((لبس ثياب الخلافة ، دراعة وطيلساناً والقلنسوة الطويلة)) (الطبري، ج٣، ص٩١٧) .

والحقيقة إنَّ القلنسوة تُنسب الى (السمور) وهو حيوان يشبه ابن العرس، لونه أحمر الى السواد (كوركيس عواد، الديارات، ص٣٨، ٤٢) وقد ضمَّ شعر أبي نواس وصفاً لهذا الملبس في قوله في قصيدةٍ مطلعها (ديوان أبي نواس، ١٩٨٠م، ص٦٣٥) :

ودار ندامى عطلوها ، وأدلجوا
بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارسُ

ثم يقول :

فللخمر ما زرّت عليه جيوبهم
وللماء ِ ما دارت عليه القلانسُ

ومن المنسوجات التي اهتمت بها حاضرة الدولة العباسية (بغداد) قدياً (الأزر) (صالح العلي، ص٩٤) ومفردها (إيزار) وهي من ملابس النساء يكون لأعلى أبدانهنَّ وأسفلها معاً ، ويتخرمنَّ عليه بخيوطٍ رفيعةٍ لا تكاد تبين (مصطفى جواد، مجلة التراث الشعبي، ١٩٦٤م، ص٦) ... يقول أبو نواس (ديوان، ص٧٣٨) :

أيا من وجهه الراح
وفي مئزره الماحُ
ومن سقيا ثنایاه
إذا استسقيه الراحُ

لقد دخل شعر هذا الشاعر العديد من مفردات الألبسة ومكملاتها ، ومن ذلك الجلباب وهو ((عبارة عن ثوب تغطي به المرأة صدرها وظهرها ، وتلتحف به من الرأس الى القدمين حبن الخروج من المنزل)) (السعبري، الملابس، ٢٠١٧م، ص١٤٠) ، يقول أبو نواس في الغزل (ديوان ، ص٧٨٧) :

معقرب الصدغ ملبوس عوارضه
جلبابُ حُسْنٍ عليه الملح معطوفُ

ومن ذلك لفظة (الزنار) وهو حزامٌ محوك عرضه حوالي قدمين وطوله حوالي مترين يُلفُ حول البطن فوق الملابس الداخلية في موسم الشتاء لحفظ البطن من البرد وتُكلّبُ نهايته بكلاب معدني (دنبوس) (الحجية، بغداديات، ١٩٨١م، ج٤، ص٨٠؛ وينظر: الحنفي، معجم اللغة العامية، ١٩٩٣م، ص٢٦٠) ، يقول أبو نواس (ديوان، ص٧٥٧) :

في حِقوه زنارُ
منعم بُندارُ

ومما يقول أيضاً (المصدر نفسه، ص١٤٧) :

وفتيانُ صدقٍ قد صدفتُ مطيّهم
الى بيت خمارٍ نزلنا به ظهرا
فلما حكى الزُّنارُ أنْ ليس مسلماً
ظننا به خير وظن بنا شرا

المطلب الثاني : الحُلي

أما الحُلي فهي ليست من مستحدثات العصر العباسي وإنما كانت قديمةٌ قدم الإنسان ، وقد عرفها البابليون القدماء ، وظهر ذلك جلياً في النقوش

السومرية والتماثيل البابلية فدلّت دلالة قاطعة على إحساس الإنسان بالجمال والزينة ، وقد عكس القرآنُ الكريم هذا الإحساس الجمالي في آياته المحكمات ، ومن ذلك قوله تعالى: ((يحلّونَ فيها من أساورَ من ذهبٍ)) (سورة الحج، الآية ٢٣) .

فالسوار من الحُلي الذهبية التي تزيّنُ بها المرأة بدنها ، وقد جاء ذكره في شعر أبي نواس يقول (ديوان، ص٦٣٢) :

في يـديهـا سـوارُ ذبـلٍ غليظٍ
وعـلـيـه مـن المُـخـوّصِ فـازه

فهذا السوار صُنع من ((الذبل)) وهو شيءٌ كالعاج يُتخذ منه السوار . وقوله: ((من المُخوّص فازه)) أي إنَّ هذه المرأة كانت تستظل بخيمةٍ فارسيةٍ يُطلق عليها (الفازة) منسوجة من خوص النخل (المصدر نفسه، ص٦٣٢ ، الهامش) وهو في ذلك يريد أنْ يدللَ على ترفها وزينتها.

وعن مثل هذه المرأة المرفهة يقول أبو نواس في موضعٍ آخر من ديوانه (المصدر نفسه، ص٦٣٥) :

كـأنَّ مـعـاقـدُ الأوضـاح منها
بجيد أغـنَّ نُـوِّمَ في كـنـاسِ

فجيدها مليء ب ((معاقد الأوضاح)) وهو ما تتزيّنُ به المرأة من حليّ الفضة ، وقد أُخِذ هذا من الوضح (المصدر نفسه، ص٦٣٥، الهامش) ، وهو البياض حتى شبهها بغزالٍ ((نُوِّمَ)) في كناس انعكاساً لدلالها .

والحقيقةُ ان مظاهر الترف من حليّ وأحجار ثمينة تسللت أحياناً الى تشبيهات هذا الشاعر، ومن ذلك (المصدر نفسه، ص٨٣٣) :

يـا قـمـراً أبـصـرتُ في مـأتـمٍ
يـنـدبُ شـجـواً بـين أتـرابِ
يبكي فيذري الـدرَّ من نرجسٍ
ويـلـطـم الـوردَ بـعـنـابِ

فحوّلَ دمع مَنْ يحب الى درٍّ من النرجس وهي تبكي بين أترابها (ويُنظر هذا التشبيه في أبياته: ص٨٧٤ من ديوانه) .

إنَّ المتأملَ لما قدمنا من نصوص شعرية يحسُّ بأنَّ الملابسَ والحُلي في عصر الشاعر أبي نواس مثّلت مظهراً من مظاهر الحضارة ، وكان للخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٧-٨٠٦م) الأثر الكبير في الاهتمام بهذه المظاهر الجميلة التي كان لها تأثير في تخطيط العديد ما المشاهد الفنية الشعرية؛ فمن خلال هذا الشعر نستطيع أنْ نكشفَ جزءً من حياة المجتمع العباسي حيث الاهتمام بالمظاهر الحضارية، وقد ارتبطت صور الملابس والحُلي بتجربة الشعراء ومنهم أبي نواس الذي عاش العصر بصدقٍ، فكانت تجربته الشعرية تتسم بالصدق الفني .

إنَّ النماذجَ الشعرية ـ التي عرضنا ترتبط ببناء القصيدة، وتشكلُ معلماً وإضاءةً لحياة العصر المُترفة؛ إذْ ارتبطت هذه النماذج بتجربة الشاعر الغزلية في وصف مشاهد الجمال التي كانت تتمتع بها المرأة ؛ ومن هنا ظهرت سهولة هذا الشعر الذي ينسجم

وتجربة الشاعر، هذا فضلاً عن تمتع الانموذج النواسي بمفردات الملابس والحُلي ومنها القلنسوة والمئزر والزنار والسوار وحُلي الفضة (معاقد الأوضاح) والدر وما الى ذلك، ومن هنا مثّلَ أبو نواس عصره أصدق تمثيل، مبتعداً عن تقديس القديم والتزام تقاليده ، وهو بهذا الرافد الشعري كان علامة تميّزه في تاريخ الشعر العربي .

الخاتمة ونتائج البحث

وبعد هذه الرحلة الجميلة في الطواف بين الأزياء والملابس والحلي في العصر العباسي توصل البحث الى النتائج الآتية :

١- أثبت البحث أنَّ هذه الأمة صاحبة حضارة ومعرفة تجسدت في الذوق الرفيع الذي تبيّنَ في أنواع الملابس ومكملاتها ، وما ذلك إلّا مظهر من مظاهر الحضارة ، بدءً من حضارات وادي الرافدين العريقة .

٢- إنَّ التنوع والاهتمام بالملابس خضع للعديد من عوامل التأثير كان في مقدمتها الفتوحات الإسلامية المباركة ، إذْ اطلع العرب؛ نتيجة الاختلاط ، على ما توصلت اليه الشعوب من جماليات الملابس ومكملاتها .

٣- كان للأمن وحرية التنقل وازدهار حركة التجارة أثرٌ كبير في ظهور طبقة الأغنياء الذين عَنَوا في اختيار الألبسة المترفة ولاسيما في الأمصار الإسلامية الكبرى .

٤- عكست لنا المصنّفات التاريخية والأدبية أشكالاً عدة من هذه الملابس والأزياء والحلي إذْ كان لكل قوم أو مهنة زيٌّ خاصٌ به .

٥- وقف البحث عند ملابس العصر العباسي، بشقيها الملابس الرجالية والملابس النسائية ، وأبرز ما ظهر أنَّ اللباس الفارسي كان لباس البلاط الرسمي بأشكاله المختلفة من لبس القلانس والقبعات السود الطويلة المخروطية والملابس المحلّاة بالذهب .

٦- أما الملابس النسائية فقد أشار البحث الى أنَّ هناك أصناف من اللباس يتمثّل بثلاثة أصناف من ألبسة النسوة ، لباس الحرائر ولباس الجواري ولباس القهرمانات .

٧- لقد ساقنا البحث التاريخي الى رافدٍ من روافد الكشف عن هذه الألبسة وهو شعر أبو نواس ، إذ ظهر ذلك جلياً في شعره ، فكانت القلانس والمآزر والجلباب والزنّار مظهرٌ من المظاهر الحضارية في هذا الشعر ، فضلاً عن مظاهر الحلي في شعره والذي عكس ترف المرأة في ذلك العصر .

٨- صوّر البحث جزءاً من حياة المجتمع العربي بما يحمل من ذوق وجمال وترف إنساني ، والذي كان سبباً في تطور بعض أنواع الملابس الى جانب تطور فن النقش والتطريز والريازة على الملابس والأبدان على حدٍّ سواء .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر الأولية

القرآن الكريم

الأبشيهي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الفتح المحلي (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م).

١- المستطرف في كل فن مستظرف ، مطبعة دار الفكر، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الجزري (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٢- الكامل في التاريخ، المطبعة المنيرية (القاهرة، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م).

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الأموي (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) .

٣- الأغاني، تصحيح: أحمد الشنقيطي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة دار الثقافة (بيروت، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) .

ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) .

٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي (القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) .

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) .

٥- البيان والتبيين ، تحقيق: حسن السندوبي، ط٢، المطبعة الرحمانية (القاهرة، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) .

٦- رسائل الجاحظ، ط٢، المطبعة السلفية (الكويت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) .

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن المعلي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) .

٧- كتاب أحكام النساء، ط١ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر (بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دار المعارف العثمانية (الدكن، حيدر آباد، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) .

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) .

٩- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تصحيح: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م) .

ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر الشافعي (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

١٠- وفيات لأعيان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) .

ابن دحية، مجد الدين عمر بن حسن بن علي المعروف بذي النسبين دحية والحسين (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) .

١١- النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق: عباس العزاوي، مطبعة المعارف (١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) .

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (تت٧٤٨هـ/ ١٢٤٧م).

١٢- العبر في خبر مَنْ غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت (الكويت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) .

ابن الساعي، تاج الدين علي بن المحب المعروف بابن الساعي الخازن البغدادي (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م).

١٣- نساء الخلفاء (المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء)، تحقيق: مصطفى جواد، دار المعارف

(القاهرة، د.ت) .

السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) .

١٤- الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الفكر (بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) .

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) .

١٥- تاريخ الخلفاء ، ط٢، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م) .

الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن بن هلال بن ابراهيم بن زهروب الحراني (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) .

١٦- الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية (بيروت، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) .

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الآملي البغدادي (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) .

١٧- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة دار المعارف المصرية (القاهرة، د.ت).

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) .

١٨- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب ، مكتبة القدسي(القاهرة، ١٣٣٥هـ/ ١٩١٧م)

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

١٩- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف (بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) .

المسعودي، أبو الحين علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٦م) .

٢٠- مروج الذهب ومعادن الجوهر، مطبعة دار الرجاء (القاهرة، د.ت.) .

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) .

٢١- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) .

أبو نواس، الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمي المذحجي (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م) .

٢٢- ديوان أبي نواس (برواية الصولي) ، تحقيق: الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي، مطابع جامعة بغداد (بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

الوشاء، محمد بن اسحاق بن يحيى (ت٣٢٥هـ/ ٩٣٦م) .

٢٣- الموشي أو الظرف والظرفاء، تحقيق: كمال مصطفى، مطبعة دار بيروت (بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٣٥م) .

ثانيا: قائمة المراجع الثانوية

آبوت، نابيا .

١- ملكتان في بغداد الخيزران وزبيدة، ترجمة: عمر أبو النصر، دار صادر (بيروت، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

الجبوري، سليمان ابراهيم .

٢- كشاف التقويمين في التواريخ الهجرية والميلادية، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد،

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) .

جواد، مصطفى .

٣- سيدات البلاط العباسي، مطبعة دار الكشاف (بيروت، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م) .

الحجية، عزيز جاسم .

٤- بغداديات، دار الرشيد للنشر ودار الحرية للطباعة (بغداد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

الدوري، عبد العزيز .

٥- العصر العباسي الأول، مطبعة الحرية (بغداد، د.ت.) .

السعبري، محمد حسن الحسني .

٦- الملابس والحلي في العراق، ط١ ، الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م) .

العبيدي، صلاح حسن .

٧- الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي،

العلي، صالح أحمد

٨- المنسوجات والألبسة في العهود الإسلامية الأولى، ط١ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر (بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .

عواد، كوركيس

٩- كتاب الديارات ، ط٢ ، دار صادر (بيروت ، د.ت.) .

المدور ، جميل نخلة

١٠- حضارة الإسلام في دار السلام ، مطبعة بولاق (القاهرة، ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) .

ثالثاً: المعاجم

الحنفي ، جلال

١- كتاب معجم الألفاظ العامية البغدادية، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، الجزء الثالث .

اليسوعي ، لويس معلوف

٢- المنجد في اللغة ، ط٣٧ ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) .

رابعاً: الكتب الأجنبية المترجمة

دوزي ، رينهارت بيتر أن

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، مطبعة دار الكتاب العربي (بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) .

خامساً: رسائل جامعية

عمر ، زكية العلي

التزويق والحلي عند المرأة في العصر العباسي (رسالة ماجستير مقدمة الى قسم الآثار ، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) .

سادساً: الدوريات

جواد، مصطفى،

١- بحث بعنوان (أزياء العرب الشعبية) منشور في مجلة التراث الشعبي (السنة الأولى، العدد الثامن، نيسان ١٩٦٤م/ ١٣٨٤هـ) .

غضيب، شاكر هادي

٢- بداءة معجمية في مصطلحات الحلي والأزياء ، ملحق مجلة التراث الشعبي (السنة السابعة، العدد الرابع، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) .